جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

مكر الله تعالى بالماكرين في القرآن الكريم

دراسة تحليلية

إعداد الدكتور

حمدان بن حميد بن بريك السلمي

أستاذ التفسير المساعد في جامعة جدة
كلية العلوم والآداب بالكامل

ملخص البحث

وصف الله تعالى نفسه في كتابه العزيز بـ (خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ مَعَ)، وقال (ﷻ): (ومَكَرُوا ومَكَرَ اللهُ)

ولما كانت صفة المكر تحتمل الخير والشر، وفي مفهوم البشر تتمُّ عن الخبث والخداع والكيد، فقد يشكل على بعضهم.

بأنه: كيف يصف الله تعالى نفسه بهذه الصفة؟.

لذا جاء هذا البحث في مبحثين، الأول يتحدث عن معنى المكر في اللغة والاصطلاح وفي القرآن الكريم بشكل عام.

ويبين كذلك معنى **(مكر الله تعالى)** وأنه ينقسم إلى قسمين:

أ- **معنى على الحقيقة:** وهو التدبير والكيد في خفاء وهو من النوع المحمود، كله خير لا شرَّ فيه.

ب- **معنى على غير الحقيقة (المجاز):** وهو من باب المشاكلة، بجعل الجزاء من جنس العمل.

ثم بين الباحث أنّ وصف الله تعالى يكون كما وصف به نفسه من غير اشتقاق اسم من مثل هذه الصفة، كقوله تعالى: (خير الماكرين، وخير الناصرين)؛ لأن التسمية بهذه الطريقة تدل على الخير المحض، ولا يجوز أن نسميه تعالى بالماكر أو المخادع أو الناصر (ﷻ).

أما المبحث الثاني: فقد ذكر الباحث فيه عددًا من الآيات الكريمات التي ذُكر فيها **(مكر الله تعالى)** مُبينًا المكر من البشر وما قابله الله تعالى به من مكر أوضح من معنى المكر في هذه الآية أو تلك، كمكر الله تعالى لنبينا محمد (ﷺ)، ومكر الله تعالى لعيسى (عليه السلام)،... الخ.

ثم خُتم بالنتائج والتوصيات، وأهمها ما يأتي:

– لا يجوز إطلاق اسم الماكر أو المكّار أو ما شابهه من الألفاظ التي تحتمل الشر والخير والكمال والنقص على الله تعالى إلا أن تكون مقترنة بما قرنها الله تعالى به، كخير الماكرين وخير الناصرين، فنسمي الله تعالى بها كما ذكرها الله (ﷻ).

– مكر الكافرون لنبينا محمد (ﷺ) وهو في مكة بأن حاكوا له المؤامرات لقتله أو إخراجه أو تثنيته، لكن الله تعالى مكر لنبيه (ﷺ) بأن سلّمه من بين أيديهم ونشر نور دينه الذي أرادوا إطفاءه.

– مكر اليهود بعيسى (عليه السلام) بمحاولة قتله أو إغراء الحكام آنذاك بقتله، لكن الله تعالى مكر له فألقى الشبه على واحد منهم، وسلّم نبيه، ورفعه إليه.

– **المكر مكران:** محمود، ومذموم، ومكر الله تعالى خير لا شر فيه، وإن كان فيه ضرر على واحد أو أكثر فالمصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة.

– إن الله تعالى حفظ أنبياءه من مكر الماكرين بأن جعل مكر الماكرين لا مكر فيه حقيقة؛ لأن المكر لله جميعًا، فما خفي على غيره لا يخفى عليه، فهو يعلم السر وأخفى، فأصبح مكرهم مكشوفًا.

– على الإنسان أن لا يأمن مكر الله تعالى ويركن إلى الحياة الدنيا، فإنه لا يعلم متى يُنزل الله تعالى عذابه سواء أينزله وهم نائمون أو وهم يلعبون، فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

ABSTRACT

The almighty Allah has described himself as “The best planner”, and he said “And the disbelievers planned, but Allah planned”, and since the concept of planning implies evil and goodness. The concept of human cunningness reflects malice, deceit and machination; therefore some could be confused of how the almighty Allah has described himself with this character?

This study is divided into two sections: the first deals with meaning of this term linguistically and idiomatically and in the Holy Quran in general, it also shows the meaning of (the planning of Allah) and it is divided into two meanings:

١- The first meaning is based on truth (planning in secrecy). This meaning is considered wholly as good not evil.

٢- The second meaning is considered not true (metaphorically meaning).This meaning is used as source of retribution of the work type.

Then the study explains that the description of Allah is based on the description given to Allah by himself without deriving a noun from this character, when he said “the best planner, the best supporter’ this implies only goodness and it is not permissible to call the Almighty Allah as deceitful or crafty.

The second section of this study explains that many verses of the Holy Quran (The planning of Allah) and showing that human cunningness contradicts Allah’s planning for the prophets Mohammad and Moses peace be upon them.

The study concludes the following outcomes and recommendations:

- It is forbidden to use the nouns planner or crafty or other related terms that imply evil and goodness or perfection and deficiency to describe The Almighty Allah unless it is associated with the Almighty Allah as the best planner and best supporter.Therefore, we can call the Almighty Allah only with these nouns as mentioned by The Almighty Allah.

- The cunningness of the disbelievers against our prophet Mohammad peace be upon him when he was in Mecca is a type of plotting to kill him, but Allah planned for his prophet saving him from them and spreading the message of Islam.

- The cunningness of Jews attempting to kill Jesus, but Allah planned for his prophet by putting his resemblance on one of his followers and saving Issa peace be upon him and descending him to the heavens.

-Planning is divided into two types: one is good and one is evil, and the planning of Allah is always good no evil in it even if it harms someone or more due to the fact that general interest is superior to personal interest.

- The Almighty Allah protected and saved his prophets from plotters and making their cunningness meaningless, because planning is only for The Almighty Allah and he only knows what is unknown, secrets and intentions, therefore humans' cunningness is exposed and known to the almighty Allah.

- Humans must believe in the planning of Allah, as no one knows when Allah is sending his punishment, and no one is saved from the planning of the almighty Allah.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور، أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾

أما بعد: فإن أولى ما يتنافس فيه المتنافسون، ويشتغل به المشتغلون، هو كتاب الله (ﷻ)، تلاوةً وتدبراً؛ إذ هو المعجزة الباهرة، والحجة الظاهرة، لا تنتهي عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، فلا يزال العلماء في كل عصرٍ ومصر ينهلون من علومه، ثم يبينون للناس ما فهموا، ويذكرون لهم ما استنبطوا، واضعين – في ذلك كله – معرفة مراد الله تعالى نصب أعينهم، وإن من مراد الله الذي يجب أن يتعلمه كلُّ تالٍ ومتدبرٍ للقرآن أن يعلم ما تدلُ عليه أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، حسب ما قرره الشارع في كتابه من خلال مراده وفهم سلف الأمة، وقد استوقفتني صفة المكر في القرآن، فأحببتُ أن أُسهم في البحث فيها من خلال سبر وفهم الآيات التي وردت فيها.

أهمية ذلك فقد وصف الله تعالى نفسه في القرآن العظيم بصفات مختلفة، تمَّ له فيها الكمال المطلق جل وعلا في تلك الصفات، وهذه الصفات على قسمين:

القسم الأول: صفات لا تدلّ إلا على خير محض لا شر فيه ولا نقص، وهذه لا إشكال في فهمها، فهي واضحة بيّنة جليّة لا تحتاج إلى زيادة بيان وتوضيح، كصفة الربوبية الألوهية والمحبة والرضا وغيرها مما وصف الله تعالى بها نفسه.

والقسم الثاني: صفات ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم بحيث تشتمل هذه الصفات على خير وشر، وكمال ونقص، كصفة المكر والكيد والخداع وغيرها، وهذه الصفات وصف الله تعالى نفسه بها مقرونة بالإضافة مما يجعلها تامة لا نقص فيها، كخير الماكرين، أو من باب المقابلة كقوله تعالـــــــــــى:

﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩ ﴾ [البقرة: ٩].

فهل لنا أن نصف الله تعالى بتلك الصفات على وجه العموم، فنقول: الماكر والمكّار والمخادع...؟

فالمكر فيه المحمود والمذموم، فمن يمكر لمظلوم ليرد عنه الظلم فهذا مكر محمود، ومن يمكر ليأخذ حقَّ ضعيفٍ أو حقَّ غيرِه فهو مكرٌ مذموم.

والله تعالى عندما وصف نفسه بهذه الصفات أخذت الكمال والخير المحض، فاحتاجت إلى توضيح وبيان لإزالة الالتباس الذي قد يلحق العامة ومن شابههم أصحاب الأفهام التي تحاول الدسّ على ديننا الحنيف، وهذا سبب اختياري لهذا البحث بعد أن سمعت بعض الطاعنين للقرآن الكريم يتكلمون بالتهم الباطلة ويصفون الله تعالى بمثل هذا الصفات، مما حثني للحديث عن هذه الصفة.

الهدف من البحث وأسباب اختياره توضيح ما أشكل في فهم مثل هذه المعاني وبيانها وفق المنهج الصحيح لعلماء الأمة وسلفها الصالح.

وأشير إلى أنني لن أتحدث إلا عما يتعلق بمكر الله تعالى، أما باقي أنواع المكر المذكورة في الآيات المختارة فإني سأتحدث عنها لتوضيح ما يتعلق بمكر الله (ﷻ).

يظهر لي من خلال البحث أنه لم **تفرد دراسة** تفسيرية في ذلك، إلا ما كان ما ذُكر في ثنايا كُتب العقائد.

أما خطة البحث فكانت على الشكل الآتي:

- جاء البحث في مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة.
- مقدمة ذكرت فيها أهمية الموضوع والهدف منه وسبب اختياري له، وذكر الدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجي فيه .
- المبحث الأول: تعريف المكر وما يتعلق به من إشكالات وكان في أربعة مطالب:

  المطلب الأول: تعريف المكر في اللغة.

  المطلب الثاني: تعريف المكر في الاصطلاح.

  المطلب الثالث: المكر في القرآن الكريم، مكر الله تعالى عند المفسرين.

  المطلب الرابع: كيف يكون وصف الله تعالى بصفة (المكر).
- **المبحث الثاني:** مكر الله تعالى لأنبيائه السابقين (عليهم السلام) وفيه مطلبان:

  المطلب الأول: مكر الله تعالى لعيسى (عليه السلام).

  المطلب الثاني: مكر الله تعالى لنبيه صالح (عليه السلام).
- **المبحث الثالث:** مكر الله تعالى لنبيه محمد (ﷺ) قبل الهجرة.
- **المبحث الرابع:** مكر الله تعالى على الأمنيين من مكره.

ثم أتبعته بخاتمة ذكرتُ فيها النتائج التي توصلت إليها في البحث، وأردفت النتائج ببعض التوصيات.

منهجي في البحث: الاستقراء ودراسة كلمة المكر من حيث اللغة، وبيان المعنى الاصطلاحي لها، سرد الآيات التي وردت فيها كلمة المكر، ودراسة تفسيرية لها، عزوا الآيات، ومن ثم تخريج الأحاديث تخريجاً، إن كان في أحد الصحيحين اكتفيت بذلك، وإن في غيرهما بينت ذلك من خلال حكم العلماء عليه، وذيلتُ في الحاشية مصادر معلوماتي من خلال رقم الجزء والصفحة.

وأسأل الله تعالى أن يسدد خُطانا ويوفقنا لفهم كتابه الكريم على ما يحب ويرضى هذا فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

المبحث الأول
تعريف المكر وما يتعلق به من إشكالات

وكان على أربعة مطالب.

المطلب الأول: تعريف المكر في اللغة.

المطلب الثاني: تعريف المكر في الاصطلاح.

المطلب الثالث: المكر في القرآن الكريم وعند المفسرين.

المطلب الرابع: كيف يكون وصف الله تعالى بصفة (المكر).

المبحث الأول
مفهوم المكر وما يتعلق به وفيه مطالب
المطلب الأول
تعريف المكر في اللغة

المكر في اللغة: جاء في لسان العرب عن الليث: أن المكر هو احتيال في خُفية.

وقال ابن سيده: المكر: الخديعة والاحتيال، ويوصف الرجل بقولهم: المكورَى، أي: اللئيم، والمكر: المَغْرة، الطين الأحمر يصبغ به، وثوب ممكور أو ممتَكَر: مصبوغ بالمكْر، وَقَدْ مَكَرَه فامْتَكَرَ أَي خَضَبَه فاخْتَضَبَ، قال القطاميُّ:

بِضَرْبٍ تَهْلِكُ الأَبْطالُ مِنهُ ... وتَمْتَكِرُ اللِّحَى مِنْهُ امْتِكَارَا

أَي: تَخْتَضِبُ، شبَّه حُمْرَةَ الدَّمِ بالمَغْرَةِ، والمَكْرَةُ: التَّدْبِيرُ وَالْحِيلَةُ فِي الحرْب.(١)

قال الخليل: والمكر: احتيال بغير ما يضمر(٢)، ومَكَرَ به: كادَه، قيل: المكْرُ والكيد مترادفان. وَفِي البصائر(٣): المَكْرُ ضَرْبان: مَحمودٌ: وَهُوَ مَا يُتَحَرَّى بِهِ أَمْرٌ جميلٌ، وعَلى ذَلِك قولُه تَعَالَى:﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[آل عمران: ٥٤]، ومذمومٌ: وَهُوَ مَا يُتَحَرَّى بِهِ فعلٌ ذميمٌ، نَحْو

(١) ينظر: الصحاح في اللغة (١٧٧/٢) ولسان العرب (٣٤٥/٧-٣٤٦).
(٢) العين (٣٧٠/٥).
(٣) تاج العروس لأبي المرتضى الزبيدي (١٤ / ١٤٧).

قَوْله تَعَالَى: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾[فاطر: ٤٣].

وَقَالَ الأَزْهَرِيّ: رجُلٌ مَكْوَرَّى نعت للرجُل، يُقَال: هُوَ الْقصير اللئيمُ الخِلْقَة.

والمَمْكورُ: الأَسَدُ المُتَلَطِّخُ بدِماءِ الفَرائسِ كأَنَّه مُكِرَ مَكْراً، أَي: صُبِغَ بالمَكْر، أَي: طُلِيَ بالمَغْرَة.(١)

والمَكْرُ في اللغة أصلُه: السَّتْرُ، يُقال: مَكَر اللَّيلُ: أي أَظْلَمَ وسَتَر بظلمته ما فيه، وقالوا: واشتقاقُه من المَكْرِ وهو شجر ملتفٌّ، تخيَّلوا فيه أنَّ المكرَ يلتفُّ بالممكورِ به ويشتمل عليه، وامرأةٌ ممكورةُ الخَلْقِ، أي: ملتفَّةُ الجسم، وكذا مَمْكُورة البطن، ثم أُطْلِقَ المَكْرُ على الخُبْث والخِداع، ولذلك عَبَّر عنه بعضُ أهلِ اللغةِ بأنه السعيُ بالفساد.(٢)

يقول أبو هلال العسكري: المكر بقدر ضرر الغير من غير أن يعلم به، وسواء كان من وجهه أو لا، والمكر لا يكون نفعًا(٣)، وذلك أن الماكر يُنزل المكروه بالممكور به من حيث لا يعلم، وفي اللغة: التدبير على العدو، وأصله في اللغة الفتل، ومنه قيل: جاريةٌ ممكورة، أي: ملتفة البدن.(٤)،

---

(١) تاج العروس (١٤٧/١٤) المغرة: الطين الأحمر، والأمغر الرجل الأحمر الشعر والجلد، والأمغر في الخيل الأشقر مقاييس اللغة (٣٣٩/٥).

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٢١٢/٣).

(٣) يقصد أبو هلال العسكري بكلامه هذا أنه لا يكون في المكر نفع للممكور به عادة، إذ لو كان فيه خير لما كان في خفاء وخفية عنه.

(٤) ينظر: الفروق اللغوية ١٤٢/١.

وقال في مكان آخر: المكر: حيلة العبد توقعه في مثل الوهق.[١]

يقول ابن عطية في تفسيره: "والمكر في اللغة : السعي على الإنسان دون أن يَظهر له ذلك، بل أن يبطن الماكر ضد ما يبدي"[٢].

خلاصة القول في المعنى اللغوي:

بعد التطواف في هذه المعاني التي ذكرها علماء اللغة وأصحاب المعجمات يتبين لي أن معنى المكر في اللغة هو: عبارة عن التفاف يكون فيه احتيال في خُفية وخفاء، ويكون فيه ضرر للممكور به.

(١) الوَهَقُ: الْحَبْلُ المُغار يُرْمى فِيهِ أُنشوطة (وهي عقدة يسهل حلها) فَتُؤْخَذُ فِيهِ الدَّابَّةُ والإِنسان. لسان العرب (١٠/ ٣٨٥).

(٢) تفسير ابن عطية (١/٤٤٣).

المطلب الثاني
تعريف المكر في الاصطلاح

يقول الشريف الجرجاني (رحمه الله): المكر من جانب الحق تعالى: هو إرداف النعم مع المخالفة، وإبقاء الحال مع سوء الأدب، وإظهار الكرامات من غير جهد. ومن جانب العبد: إيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر.[١]

وفي كتاب التعاريف[٢] بعد أن ذكر كلام الشريف نفسه، فقال: وعرفه بعضهم بأنه: صرف الغير عما يقصده بحيلة، وذلك ضربان: محمود: وهو أن يتحرى به فعل جميل، ومذموم: وهو أن يتحرى به فعل قبيح ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر: ٤٣].

وقال الحرالي: المكر: إعمال الخديعة والحيلة في عدم بناء باطن كاليدين والتخلق وغير ذلك، فالمكر خديعة معنى.[٣]

قال العلماء في تفسيره: إنه التوصل بالأسباب الخفية إلى الإيقاع بالخصم؛ يعني: أن تفعل أسبابًا خفية فتوقع بخصمك وهو لا يحس ولا يدري، ولكنها بالنسبة لك معلومة مدبرة.[٤]

---

(١) التعاريف (٢٢٧).
(٢) السابق (٣١٢).
(٣) السابق (٣١٢).
(٤) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٣٣٥).

فالمكر: إرَادَةُ وتَدْبِيرُ فِعْلٍ خَفِيّ بِحَقّ مَنْ لَمْ يَعْلَمُ بِمَا يُرَادُ بِهِ ولَمْ يَحْتَسِب أنْ يَأتِيهِ هَذَا الفِعْلُ مِنْ حَيْثُ أتَىَ مِنْه بِصُورَتِه تِلك .

وهو: إرَادَةُ المَاكِرِ فِعْلُ السُّوءِ بِالمَمْكُورِ بِهِ فِيْ غَفْلَةٍ مِنْهُ عَمّا يُرَادُ بِهِ وَعَدَمُ حَذَرِهِ مِنْ شرٍّ يَأتِيهِ مِنْ جِهَةِ المَاكِرْ .(١)

والخلاصة من هذه التعريفات الاصطلاحية للمكر، يتبين لدي أن المكر هو: إرَادَةُ المَاكِرِ فِعْلُ أمرٍ بِالمَمْكُورِ بِهِ فِيْ غَفْلَةٍ مِنْهُ عَمّا يُرَادُ بِهِ وَعَدَمُ حَذَرِهِ مِما يَأتِيهِ مِنْ جِهَةِ المَاكِرْ.

(١) المكر والكيد والخداع.. والفرق بينهما في التعبير القرآني، مقال ضمن موقع أوجه البيان في كلام الرحمن يكتبها: عدنان الغامدي.

المطلب الثالث

المكر في القرآن الكريم وعند المفسرين.

وردت مادة مَكَرَ باختلاف صيغها ومشتقاتها اثنتين وأربعين مرة، فقد وردت بالفعل الماضي، والمضارع، والمصدر، واسم الفاعل.

وقد ذكر المفسرون أقوالاً متعددة في معنى المكر، وسأذكر أهم الأقوال في معنى المكر، منها:

أن المكر هو التدبير الخفيُّ؛ لإيصال المكروه إلى ما به من حيث لا يحتسب، ووقاية الممكور له من المكروه كذلك، والغالب في عادات البشر أن يكون المكر فيما يسوء ويذم من الكذب والحيل، ولذلك تأوّلَ المفسرون ما أُسند إلى الله تعالى منه، فقالوا في مثل هاتين الآيتين – آية الأنفال وآية آل عمران: إنه أُسند إلى الله تعالى من باب المشاكلة بتسمية تخييب سعيهم في مكرهم، أو مجازاتهم عليه باسمه، والحقّ أن المكر منه الخير والشر، والحسن والسيّئ – كما قال الله تعالى: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئُ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر: ٤٣][1].

﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾[آل عمران: ٥٤].

الْمَكْر من العَبْد: الْخبث وَالْخداع، وَمن الله تَعَالَى: أَن يَأْخُذ العَبْدَ بَغْتَة من حَيْثُ لَا يعلم، وَإِنَّمَا سَمَّاهُ مكرًا –على الْمُقَابلَة– لِأَنَّهُ جَزَاء مَكْرهمْ: كَمَا قَالَ:

(١) تفسير المنار (٩/٥٤١).

﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ ﴾ [الشورى: ٤٠][١].

وقال ابن عطية: وهذه أيضًا تسمية عقوبة باسم الذنب.[٢]

المكر: هو التدبير ويكون في الخير والوقاية من الشر، كما يكون في تدبير السوء، كما كان من أولئك الذين مكروا بصالح (عليه السلام)، ومكر اللَّه تعالى لإحباط تدبيرهم الخبيث، وهو القضاء على الفساد والمفسدين، وهم لَا يشعرون أن الله محبطٌ عملَهم، ومبطل تدبيرهم وذلك بالقضاء عليهم قبل أن ينفذوا.[٣]

شبه الله الإهلاك بالمكر في كونه إضرارًا في الخفاء؛ لأن حقيقةَ المكرِ هو الإيقاع بالآخرين قصدًا وعن طريق الغدر والحيلة[٤].

إذا جئنا لقول الله: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ المكر: هو التغلُّب بالحيلة على الخصم؛ بأن توهمَه أنَّك تفعل له خيراً، بينما أنت تضمر له الشر، كأن تحفرَ حفرة كبيرة مثلاً، وتغطيها ببعض الحشائش والزهور، ثم تطلبُ من خصمك أنْ يأتي لك بزهرة، فيسقط في الحفرة وتتكسر عظامه[٥].

المكر: هو التدبير، وفيه نوع من الخفية والسرية. [٦]

وهو التدبير في الأصل لكن الاستعمال اللغوي جعله لما فيه إساءة للمقابل، يمكر أي: يدبر شيئاً مسيئاً لآخر[٧].

---

(١) تفسير السمعاني (٣٢٣/١).
(٢) تفسير ابن عطية (٤٤٣/١).
(٣) زهرة التفاسير (٥٤٦٣/١٠).
(٤) إعراب القرآن وبيانه (٢٢٥/٧).
(٥) تفسير الشعراوي (٥٦٣١/٩).
(٦) لمسات بيانية لسور القرآن (٩).
(٧) السابق (٤٣).

وبعد أن عرفنا معنى المكر في القرآن الكريم نخصص القول لمعنى (مكر الله تعالى) في أقوال المفسرين، فلهم في ذلك أقوالٌ وتأويلاتٌ ذكروها في تفاسيرهم نعرض أهمها:

١- ما أسماه الإمام الماوردي (رحمه الله) بـ "مزاوجة الكلام" وإن خرج عن حكمه، مستشهدًا على ذلك بقول الله تعالى: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾[البقرة: ١٩٤]، والعمل الثاني ليس اعتداءً[(١)]، وسُمي الثاني بمثل اسمه؛ لأن صورة الفعلين واحدة، وإن كان في الأول فعلٌ مذموم، والثاني فعل ممدوح، والعرب، تقول: ظلمني فظلمته، أي: جازيته بظلمه[(٢)].

والمكر في الخلائق: خبٌّ وخداع، والمكر من الله: المجازاة على ذلك، فسُمي باسم ذلك؛ لأنه مجازاةٌ عليه، ومعنى (مَكْرُ الله) أي: إضافة المخلوق إلى الخالق، كقولهم: ناقة الله وبيت الله، والمراد به فعلٌ يُعاقَبُ به الكفرة، وأُضيف إلى الله لَمَّا كان عقوبةَ الذنب، فإن العرب تسمِّي العقوبة على أي جهة كانت باسم الذنب الذي وقعت عليه العقوبة.[(٣)]

وهذا من باب التأويل لصفة المكر التي وصف الله تعالى بها نفسه، وإخراج للمعنى عن أصله وظاهرة من غير دليل سوى الدليل العقلي الذي يعتمد عليه المؤولة، وذلك لأن المكر صفةٌ من الصفات المقيدة التي تُذكر بقيد كقولنا ويمكرون ويمكر الله.

---

(١) النكت والعيون (٣٩٦/١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٦٥/١).

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المصون (٣٩٣/٥).

٢- جعل الإمام الطبري (رحمه الله) المكر والاستهزاء والسخرية وما شابه هو كالذي أخبر الله تعالى في كتابه أنه فاعل بالمستهزئين يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحديد: ١٣]، وكقوله تعالى في ما يفعله بالكفار: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٨].(١)

٣- إهلاك الله تعالى إياهم وتدميره لهم، وإما إملاؤه ليأخذهم في حال أمنهم عند أنفسهم بغتة، أو توبيخه لهم ولأئمته إياهم.

٤- هو على الجواب، كقول الرجل لمن يخدعه إذا ظفر به: "أنا الذي خدعتك" ولم تكن منه خديعة، ولكن قال ذلك إذ صار الأمر إليه، فالله تعالى لا يكون منه المكر ولا الهزء، والمعنى: أن المكر والهزء حاق بهم.

٥- أن الله تعالى مجازيهم جزاء الاستهزاء، ومعاقبهم عقوبة الخداع، فأخرج خبره عن جزائه إياهم وعقابه لهم مُخْرَج خبره عن فعلهم الذي استحقوا العقاب في اللفظ،(٢) وإن اختلف المعنيان، كما قال (جل ثناؤه): ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة الشورى: ٤٠]، ومعلومٌ أن الأُولى من صاحبها سيئة، إذْ كانت منه لله تبارك وتعالى

(١) ينظر: تفسير الطبري ١/٢٧٥.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/٤١٩.

معصية، وأن الأخرى عَدلٌ؛ لأنها من الله جزاءٌ للعاصي على المعصية، فهما – وإن اتفق لفظاهما– مختلفا المعنى.

وكقوله تعالى: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [سورة البقرة: ١٩٤]، فالعدوان الأول ظلم، والثاني جزاءٌ لا ظلم، بل هو عدل، لأنه عقوبة للظالم على ظلمه، وإن وافق لفظه لفظ الأول.

٦– بعد أن ذكر الإمام الطبري تلك الأقوال يقول: "والصواب في ذلك من القول والتأويل عندنا: أن معنى الاستهزاء في كلام العرب: إظهارُ المستهزِئ للمستهزَأ به من القول والفعل ما يُرضيه ظاهرًا، وهو بذلك من قِيله وفِعْله به مُورِثه مَساءة باطنًا، وكذلك معنى الخداع والسخرية والمكر.(١)

٧– استدراجهم من حيث لا يعلمون وأخذه لهم، بما أنعم عليهم في دنياهم.(٢)

بعد هذا الاستعراض لأقوال العلماء يتضح لدينا أن معنى (مكر الله تعالى) عند المفسرين ينقسم إلى قسمين:

أولاً: معنى على الحقيقة: وهو مأخوذ من المعنى اللغوي الذي هو الكيد بخفاء، لكنه من النوع المحمود، سواء كان بإبطال مكر الماكر المقابل، أو تدبير أمر له بخفاء لإيقاعه بما يكره، وفي هذا يقول الإمام ابن عاشور (رحمه الله): إنَّ "الْإِمْلَاءَ وَالِاسْتِدْرَاجَ، الَّذِي يُقَدِّرُهُ لِلْفُجَّارِ وَالْجَبَابِرَةِ وَالْمُنَافِقِينَ، الشَّبِيهَ بِالْمَكْرِ فِي أَنَّهُ حَسَنُ الظَّاهِرِ سيِّءُ الْعَاقِبَةِ، هُوَ خَيْرٌ مَحْضٌ لَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ إِلَّا الصَّلَاحُ الْعَامُّ،

(١) ينظر: تفسير الطبري (١/٣٠١-٣٠٤).

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/٤١٩) وتفسير الكشاف (٢/٢١٧).

وَإِنْ كَانَ يُؤْذِي شَخْصًا أَوْ أَشْخَاصًا، فَهُوَ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ مُجَرَّدٌ عَمَّا فِي الْمَكْرِ مِنَ الْقُبْحِ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ أَفْعَالُهُ تَعَالَى مُنَزَّهَةً عَنِ الْوَصْفِ بِالْقُبْحِ أَوِ الشَّنَاعَةِ؛ لِأَنَّهَا لَا تُقَارِنُهَا الْأَحْوَالُ الَّتِي بِهَا تُقَبَّحُ بَعْضُ أَفْعَالِ الْعِبَادِ مِنْ دَلَالَةٍ عَلَى سَفَاهَةِ رَأْيٍ، أَوْ سُوءِ طَوِيَّةٍ، أَوْ جُبْنٍ، أَوْ ضَعْفٍ، أَوْ طَمَعٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ. أَيْ فَإِنْ كَانَ فِي الْمَكْرِ قُبْحٌ فَمَكْرُ اللَّهِ خَيْرٌ مَحْضٌ.(١)

ثانيًا: معنى على غير الحقيقة (المجاز) وهو من باب المشاكلة، لجعل الجزاء من جنس العمل، كقول العرب: ظلمني فظلمته، فالأول ظلم على الحقيقة، والثاني: ليس بظلم، ولكنه من باب المشاكلة.

خلاصة القول: بعد ذكر هذه المعاني للمكر في أقوال المفسرين يتبين أنَّ المكرَ مقاربٌ للمعنى اللغوي الذي ذكره علماء اللغة، وهو: التدبير الخفي، والالتفاف؛ لإيصال المكروه إلى الممكور به من حيث لا يحتسب، ووقاية الممكور له من المكروه كذلك، إذ الغالب في عادات البشر أن يكون المكر فيما يسوء ويذم من الكذب والحيل.

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٠٦/٣).

المطلب الرابع
كيف يكون وصف الله تعالى بصفة (المكر)؟

الصفات في اللغة تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أن تكون صفات كمالٍ مطلق كالحياة، والعلم، والقدرة، فهي تثبت لله كلها ويُنفى عنه ما يضادها من صفات النقص، مثل: إثبات صفة الحياة ونفي صفة الموت، كقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ۚ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾[الفرقان: ٥٨].

الثاني: نقص مطلق كالعجز، والموت، والفقر، فهي تُنْفَى عن اللَّه كلها، ولكن يثبت لله تعالى ما يضادها.

مثال ذلك: صفة الظلم فإنها تُنفى كلها عن اللَّه تبارك وتعالى ويثبت له العدل بل الكرم؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء:٤٠]؛ لأن نفي النقص وحده لا يعني الكمال، فلابد من نفي النقص وإثبات ضده.

الثالث: صفات تحتمل كمالاً من وجه ونقصًا من وجه آخر، فيُثْبَتُ لله تعالى فيها وجوه الكمال، ويُنْفَى عنه منها وجوه النقص.

مثال: (المكر) و(الخداع) فإنها لو كانت من ضعيف لا يقوى على أخذ حقه فهو نقص، وإن كانت من منافق خبيث يمكر بالمؤمنين ويخادعهم لتحقيق غرض خبيث في نفسه فهو نقص وهو من مذموم الصفات وهذا وأمثاله يُنْفَى كلُّه عن اللَّه جل جلاله.

أما إن كان ((المكر)) عقوبة بالماكرين وانتقامًا من المخادعين فهو من الكمال، وإن كان بغير ظلم ولا ضعف فهو من الكمال، وإن كان بعد التحذير والانذار **والإمهال فهو تمام العدل والرحمة،**

فهذا وأمثاله يُثْبَتُ لله جل جلاله: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ **[الكهف: ٤٩]**، ".[1]

أما إذا كان الوصف عند تجرده عن الإضافة في موضع احتمال، فكان كمالاً في حال ونقصا في حال، فهذا لا يصح فيه إطلاق الاسم أو الوصف، وينبغي على المسلم ألا يثبته لله إثباتا مطلقا ولا ينفيه عنه نفيا مطلقا، بل لا بد من البيان والتفصيل والتقيد بما ورد في التنزيل، وهذا منهج السلف الصالح في الألفاظ التي تحتمل وجهين عن التجرد عن الإضافة، كالمكر والخداع والنسيان، والاستهزاء والكيد والخذلان وغير ذلك من الأوصاف كالتردد والاستخلاف.

فالمكر مثلا هو التدبير في الخفاء بقصد الإساءة أو الإيذاء وهذا قبيح مذموم، أو بقصد الابتلاء والجزاء وهذا ممدوح محمود، ولهذا لا يصح إطلاق الماكر اسماً ووصفاً في حق الله دون تخصيص لأن الإطلاق فيه احتمال اتصافه بالنقص أو الكمال، والله نسب إلى نفسه المكر مقيدًا فقال: ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٥٤]، وقال جل شأنه: ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النمل: ٥٠]،

(١) النور الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (٣٣).

وفي هذه المواضع لا يحتمل التقييد إلا الكمال فجاز أن يتصف به رب العزة والجلال.

وما يقال في المكر يقال أيضا في الاستهزاء والخداع والسخرية والكيد، فليس من أسمائه الماكر والخادع والفاتن والمضل والفاعل والكاتب ونحوها؛ لأن ذلك يكون كمالاً في موضع ونقصًا في آخر فلا يتصف به إلا في موضع الكمال فقط.(١)

واشترطوا في أسماء الله تعالى الحسنى أن تكون مطلقة غير مقيدة، ومن الصيغ التي لا تتوافق مع شرط الإطلاق صيغ التفضيل المقرونة بالإضافة كـ (خير الماكرين) و(خير الناصرين)...إلخ، فتلك الصيغ تذكر في حق الله كما هي، ولا يصح فصلها أو إطلاقها، ثم جعلها ضمن الأسماء الحسنى التي تفيد المدح والثناء بنفسها، فتقول كما قال البعض: من أسمائه الحسنى الخير والأسرع والأحكم والأرحم، أو تطلق لفظ الماكرين وتفصله عن اللفظ المقارن في خير الماكرين، ثم تسميه الماكر والناصر والغافر... وغير ذلك؛ فلا يصح أن نطلق ما قيده الله (ﷻ) أو نفصل ما أضافه رسوله (ﷺ).(٢)

وقوله: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾[الرعد الآية ١٣] وقوله: ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[آل عمران:٥٤] وقوله:﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النمل:٥٠]، وقوله: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ ﴾[الطارق:١٥].

---

(١) أسماء الله الثابتة في الكتاب والسنة (٢٠/٣١).

(٢) ينظر: أسماء الله الثابتة في الكتاب والسنة (١٠٣).

وفي هذه الآيات إثبات وصف الله بالمكر والكيد، وهذه صفات فعلية تثبت لله كما يليق بجلاله وعظمته.

والفرق بين أسماء الله التي بلفظ الاسم المضاف أنَّ ما جاء على وجه التسمية به مثل الرحمن الرحيم الحكيم السميع العليم ونحو ذلك، فهذه أسماء يدل كل واحد منها على صفة من صفات الله ويشتق منها الفعل، وما جاء بلفظ الاسم المضاف كقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾[النساء:١٤٢]، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢]،

وقوله: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾[الرعد:١٣] فهذا الاسم يطلق على الله بلفظ الإضافة كما ورد، وبلفظ الفعل، فيقال: خادع المنافقين ويخادع من خادعه، إن أخذ الله شديد، ويأخذ من عصاه، ويأخذ الظالمين، ولا يشتق منها اسم، فلا يقال: من أسمائه المخادع، ولا الخادع، ولا الشديد، ولا الآخذ.

وأما ما ورد بلفظ الفعل، كقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾[آل عمران:٥٤]،

وقوله: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾[النمل:٥٠]، قوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾[الطارق:١٥-١٦]، فهذا يطلق على الله

كما ورد ولا يجوز أن يشتق لله منه اسم فلا يقال من أسمائه الماكر ولا الكائد، لأنه لم يرد، وأما تسميته مكراً وكيداً فقيل من باب المقابلة نحو: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾[الشورى: ٤٠] ونحو: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦﴾ **[النحل: من الآية١٢٦].**

وقيل: إنه على بابه، فإن المكر إظهار أمر وإخفاء خلافه، ليتوصل به إلى مراده: وهو ينقسم إلى قسمين: محمود ومذموم، فالقبيح إيصاله إلى من لا يستحقه، وأما الحسن فإيصاله إلى من يستحقه عقوبة له، فالأول: وهو المحمود منه نسبته إلى الله لا نقص فيها.

وأما الثاني: وهو المذموم فلا ينسب إلى الله، فمن المحمود مكره سبحانه بأهل المكر مقابلة لهم بفعلهم وجزاء لهم من جنس عملهم، وكذا يقال في الكيد كما يقال في المكر، والله إنما يفعل من ذلك ما يحمد عليه عدلاً منه وحكمة.(١)

وخلاصة القول في هذا أنه لا يجوز إطلاق اسم الماكر أو الخادع أو ما أشبهه من الألفاظ التي تحتمل الخير والشر، والكمال والنقص على الله تعالى إلا أن تكون مقترنة بما قرنها الله تعالى به، كخير الماكرين وخير الناصرين، وما شابهه، فنسمي الله تعالى بها كما ذكرها هو (ﷻ).

(١) ينظر: الكواشف الجلية عن معاني الواسطية (١/١٨٣-١٨٤).

المبحث الثاني
مكر الله تعالى للأنبياء السابقين وفيه مطلبان

المطلب الأول: مكر الله تعالى لعيسى (عليه السلام).

المطلب الثاني: مكر الله تعالى لنبيه صالح (عليه السلام).

المبحث الثاني
مكر الله تعالى للأنبياء السابقين وفيه مطلبان

جاء ذكر مكر الله تعالى في القرآن الكريم في آيات متعددة، واختلف أسلوب إيرادها، فمرة على الفعل الماضي وأخرى على المضارع وثالثة على الصفة وهكذا، وسأذكر بعض الآيات التي جاء في ذكر (مكر الله تعالى) وماذا قال المفسرون في معنى (مكر الله) في هذه الآية أو تلك.

قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ ﴾[الرعد:٤٢].

عندما سبق هذه الآية قول الله تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الرعد:٤١] كانت هذه الآية تهديدًا وإنذارًا بوعيدهم على تظاهرهم بطلب الآيات، وهم يضمرون التصميم على التكذيب والاستمرار عليه، شُبِّه عملهم بالمكر، وشبه بعمل المكذبين السابقين، وفي هذا التشبيه رمز إلى أن عاقبتهم كعاقبة الأمم السابقة التي عرفوها، فنقص أطرافها من مكر الله تعالى بهم جزاء مكرهم، فلذلك أعقب بقوله: (وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) أي: كما مكر هؤلاء.

والمعنى: مكر هؤلاء ومكر الذين من قبلهم، وحلَّ العذاب بالذين من قبلهم، فمكر الله بهم، وهو يمكر بهؤلاء مكرًا عظيمًا كما مكر بمن قبلهم، وقدم الجار والمجرور في قوله: (فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا) للاختصاص، أي: له لا لغيره؛ لأن مكرَه

تعالى لا يدفعه دافع، فمكرُ غيرِهِ كَلَا مكرٍ بقرينةٍ أنه أثبتَ لهم مكرًا، بقوله: ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، وأكّد مدلول الاختصاص بقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ وهو حال من المكر.

وإنما جعل جميع المكر لله تعالى بتنزيل مكر غيره منزلة العدم. وجملة ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾[الرعد:٤٢] بمنزلة العلّة لجملة فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا؛ لأنه لما كان يعلم ما تكسب كل نفس من ظاهر الكسب وباطنه كان مكره أشد من مكر كل نفس؛ لأنه لا يفوته شيء مما تضمره النفوس من المكر، فيبقى بعض مكرهم دون مقاله بأشد منه، فإن القوي الشديد الذي لا يعلم الغيوب قد يكون عقابه أشد، ولكنه قد يفوقه الضعيف بحيلته.(١)

يخبر الله (ﷻ) في هذه الآية الكريمة عن الأمم التي سبقت قريشًا أنها قد صدر منها مكر وتدبير خفي بأنبيائهم (عليهم السلام) كما فعلت قريش برسول الله (ﷺ) من تكذيب ومحاولة قتل وإخراج وتشويه للدين، وما شابه ذُكر، فقد مكر النمرود بإبراهيم (عليه السلام)، وفرعون بموسى، واليهود بعيسى،... وهكذا، جاعلاً ربنا تعالى مكرهم ذلك رغم عظمه ودقة تدبيره كلا مكر؛ إذ أضاف المكر إليه كله تعالى فقال: فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا، فقد أبطل كل محاولاتهم وأفشلها وجازاهم على أعمالهم ومكرهم بأنواع وطرق شتى مثل غرق فرعون وعذاب النمرود والتشبيه لعيسى (عليه السلام)؛ فقد كانت أعمالهم ناتجة عن المكر، فقابل الله تعالى مكرهم بذلك.

وفسر هذا المكر بقوله تعالى:

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٣/١٧٣-١٧٤).

﴿ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ ﴾[الرعد:٤٢]، والمعنى: يجازي كل نفس بما كسبت.(١)

وهذا تسلية لرسول الله (ﷺ) بأنه لا عبرة بمكرهم، ولا تأثير، بل لا وجود له في الحقيقة، ولم يصرح بذلك اكتفاء بدلالة القصر في التقديم والتأخير بين المبتدأ والخبر في قوله:(فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ): جنس المكر جُمِيعًا فلا وجود لمكرهم أصلاً؛ إذ هو عبارة عن إيصال المكروه إلى الغير من حيث لا يشعر به، وحيث كان جميع ما يأتون به، وما يذرون بعلم الله تعالى وقدرته، وإنما لهم مجرد الكسب من غير فعل ولا تأثير حسبما يبينه قوله: (ﷻ) (يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ) ومن قضيته عصمة أوليائه، وعقاب الماكرين بهم توفيةً لكل نفس جزاء ما تكسبه ظهر أن ليس لمكرهم بالنسبة إلى من مكروا بهم عين ولا أثر، وأن المكر كله لله تعالى حيث يؤاخذهم بما كسبوا من فنون المعاصي التي من جملتها مكرهم من حيث لا يحتسبون، أو لله المكر الذي باشروه جميعًا لا لهم على معنى أن ذلك ليس مكرًا منهم بالأنبياء بل هو بعينه مكر من الله تعالى بهم وهم لا يشعرون حيث لا يحيق المكر السيء إلا بأهله.(٢)

ونستخلص من هذه الأقوال أن الله تعالى بحفظه لأنبيائه وعصمته لهم جعل مكر الماكرين لهم كأنه لا مكر، إذ إنه تعالى له المكر جميعًا فهو يعلم سرهم ونجواهم، وبذلك يصبح المكر مكشوفًا له تعالى فيحفظ أنبياءه من مكرهم.

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٤٠١/٦).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم ٢٨/٥.

المطلب الأول

مكر الله تعالى لعيسى (عليه السلام)

يقول الله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران:٥٤].

فالضمير في (مكروا) عائد إلى اليهود (بني إسرائيل) وقد بين ذلك قول الله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الصف:١٤].

والمراد بمكرهم هو تدبير بني إسرائيل لأخذ المسيح (عليه السلام)، وسعيهم لدى ولاة الأمور ليمكنوهم من قتله، ومكر الله تعالى بهم هو تمثيل لإخفاقِ الله تعالى مساعيهم في حال ظنهم أن قد نجحت مساعيهم وَجَازَ إِطْلَاقُ الْمَكْرِ عَلَى فِعْلِ الله تعالى دون مشاكلة كما في قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾[الأعراف:٩٩]، أي: على الحقيقة، ومعنى ((خير الماكرين))، أي: أقواهم عند إرادة مقابلة مكرهم بخذلانه إياهم.(١)

قال ابن عطية: وَمَكَرُوا يريد تحيلهم في أخذ عيسى للقتل بزعمهم، ويُروى أنهم تحيلوا له، وأذكوا عليه العيون حتى دخل هو والحواريون بيتاً فأخذوهم فيه، فهذا مكر بني إسرائيل، وجازاهم الله تعالى بأن طرح شبه عيسى على أحد الحواريين ورفع عيسى، وأعقب بني إسرائيل مذلةً وهواناً في الدنيا والآخرة،

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٣/٢٥٦-٢٥٧).

فهذه العقوبة هي التي سماها الله مكراً في قوله {**وَمَكَرَ اللَّهُ**} وهذا مهيع[١] أن تُسمى العقوبة باسم الذنب وإن لم تكن في معناه، وعلى هذا فسر جمهور المفسرين الآية، وعلى أن عيسى قال للحواريين: من يصبر فيُلقى عليه شبهي فيُقتل وله الجنة؟ فقال أحدهم- أنا- فكان ذلك، وروى قوم أن بني إسرائيل دست يهودياً جاسوساً على عيسى حتى صحبه ودلهم عليه ودخل معه البيت فلما أُحيط بهم ألقى الله شبه عيسى على ذلك الرجل اليهودي فأخذ وصلب.[٢]

وَقِيلَ: "مَكَرَ اللَّهُ" إِلْقَاءُ شَبَهِ عِيسَى عَلَى غَيْرِهِ وَرَفْعُ عِيسَى إِلَيْهِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ لَمَّا اجْتَمَعُوا عَلَى قَتْلِ عِيسَى دَخَلَ الْبَيْتَ هَارِبًا مِنْهُمْ فَرَفَعَهُ جِبْرِيلُ مِنَ الْكُوَّةِ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ مَلِكُهُمْ لِرَجُلٍ مِنْهُمْ خَبِيثٍ يُقَالُ لَهُ يَهُوذَا: ادْخُلْ عَلَيْهِ فَاقْتُلْهُ، فَدَخَلَ الْخَوْخَةَ فَلَمْ يَجِدْ هُنَاكَ عِيسَى وَأَلْقَى اللَّهُ عَلَيْهِ شَبَهَ عِيسَى، فَلَمَّا خَرَجَ رَأَوْهُ عَلَى شَبَهِ عِيسَى فَأَخَذُوهُ وَقَتَلُوهُ وَصَلَبُوهُ، ثُمَّ قَالُوا: وَجْهُهُ يُشْبِهُ وَجْهَ عِيسَى، وَبَدَنُهُ يُشْبِهُ بَدَنَ صَاحِبِنَا، فَإِنْ كَانَ هَذَا صَاحِبَنَا فَأَيْنَ عِيسَى ! وَإِنْ كَانَ هَذَا عِيسَى فَأَيْنَ صَاحِبُنَا ! فَوَقَعَ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ فَقَتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:" وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ".[٣]

من خلال هذه الأقوال يتبين لنا أن مكر بني إسرائيل كان تدبيرًا خفيًا عن عيسى (عليه السلام) وأصحابه لقتله والخلاص منه ومن دعوته، فقابلهم الرب تبارك وتعالى بتدبير أخفى وأمكن من تدبيرهم بأن خلق شبه عيسى (عليه السلام) في أحدهم فقُتِلَ هذا المشبَّه فظن بنو إسرائيل أن المقتول هو عيسى (عليه السلام)، فكان تدبيرًا مقابل تدبير ومكرًا مقابل مكر، والله أعلم.

---

(١) بَيِّن ظاهر.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز (٤٤٣/١).

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (٩٩/٤).

المطلب الثاني

مكر الله تعالى لنبيه صالح (عليه السلام)

﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ ﴾[النمل: ٤٨-٥١]

يقول ربنا تبارك وتعالى في قصة سيدنا صالح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: إنه كان في المدينة التي يعيش فيها وأرسل إليها تسعة أنفس يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وكان إفسادهم في الأرض كفرهم بالله، ومعصيتهم إياه، وإنما خص الله جل ثناؤه هؤلاء بالخبر عنهم أنهم كانوا يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وإن كان أهل الكفر كلهم مفسدين؛ لأن هؤلاء التسعة هم الذين سعوا فيما بلغنا في عقر الناقة، وتعاونوا عليه، وتحالفوا على قتل صالح (عليه السلام) من بين قوم ثمود.(١)

فقد كان مكرهم عليهم لعنة الله يشتمل على الآتي:

أولاً: أن يكون أمرهم سرًّا فيما بينهم لا يعلم به أحد.

ثانيًا: أقسموا على ذلك، ﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [النمل: ٤٩].

ثالثًا: الكذب على وليه حين السؤال عن مقتله.

---

(١) تفسير الطبري ١٩/٤٧٧.

﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[النمل: ٤٩].

رابعًا: أن يقوموا بهذا العمل ليلاً كي لا يراهم أحد.

خامسًا: أنهم أظهروا الموافقة لصالح (عليه السلام)، وعقرهم الناقة خفية.

﴿ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ ﴾[الشعراء: ١٥٥].

سادسًا: توريك[١] الذنب على غير جارمه، والتبري من اختيارهم ذلك.

قوله تعالى: **(تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ)**: فيحتمل أن يكون أمرًا أو خبرًا في محل الحال بإضمار قد، أي: قالوا متقاسمين، والبيات متابعة العدو ليلاً.

وقوله: **(ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ)** يعني: لو اتهمنا قومه حلفنا لهم أنا لم نحضر.[٢]

قال ابن عاشور في قوله تعالى:

(وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ): فسمى الله تعالى تآمرهم مكرًا؛ لأنه تدبير في خفاء، وأكد مكرهم بالمفعول للدلالة على قوته في جنس المكر، وتنوينه للتعظيم.[٣]

قال مجاهد وغيره: مكرهم ما رُوي أنّ هؤلاء التسعة بعد عقر الناقة، وقد أخبرهم صالح بمجيء العذاب، اتفقوا وتحالفوا على أن يأتوا دار صالح ليلاً،

(١) أي: إلقاء الجرم علي غير مقترفه. ينظر: لسان العرب (١٠/ ٥١٢).

(٢) التفسير الكبير (٥٦١/٢٤).

(٣) التحرير والتنوير ٢٨٤/١٩.

ويقتلوه وأهله المختصين به، قالوا: فإذا كان كاذبًا في وعده أوقعنا به ما يستحق، وإن كان صادقًا كنا عجلناه قبلنا، وشفينا نفوسنا.(١)

أما المكر المسند إلى لفظ الجلالة فهو ما دلت عليه الجملة في قوله تعالى: ﴿أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، واستعير لفظ المكر لمبادرة الله تعالى إياهم باستئصالهم قبل أن يتمكنوا من تبييت صالح (عليه السلام) وأهله، وتأخيره استئصالهم إلى الوقت الذي تآمروا فيه على قتل صالح؛ لشَبَهِ فعل الله تعالى ذلك بفعل الماكر في تأجيل فعلٍ إلى وقت الحاجة مع إشعار من يُفعل به.

وأُكِّد مكر الله تعالى وعُظِّم كما أُكِّدَ مكرهم وعظِّم؛ وذلك بما يناسب جنسه، فإن عذاب الله تعالى لا يدانيه عذاب الناس، فعظيمه أعظم من كل ما يقدره الناس.(٢)

ومكر الله تعالى على ذلك مجازاتهم على ذلكٌ:

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: بالصيحة التي أهلكتهم، وقد قيل إن هلاك الكل كان بصيحة جبريل، والأظهر: أن التسعة هلكوا بعذاب مفرد، ثم هلك الباقون بالصيحة والدمدمة.(٣)

وقال الرازي (رحمه الله): مكر الله تعالى اختلفوا فيه على وجوه:

أحدها: أن مكر الله تعالى إهلاكهم من حيث لا يشعرون، شُبِّهَ بمكر الماكر على سبيل الاستعارة.

ثانيها: جاؤوا بالليل شاهرين سيوفهم، وقد أرسل الله تعالى الملائكة ملء دار صالح فدفعوهم بالحجارة، يرون الحجارة ولا يرون راميًا.

---

(١) تفسير القرطبي ٢١٧/١٣.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٩/ ٢٨٤).

(٣) تفسير القرطبي (٢١٧/١٣).

ثالثها: أن الله تعالى أخبر صالحًا (عليه السلام) بمكرهم فتحرز منهم.[١]

وقال البغوي (رحمه الله) في قوله تعالى: (وَمَكَرْنَا مَكْرًا): جزيناهم على مكرهم بتعجيل عقوبتهم وهم لا يشعرون.[٢]

قال القشيري: جزاؤهم على مكرهم بإخفاء ما أراد من العقوبة عنهم، ثم إحلالها بهم بغتة، فالمكر من الله تعالى تخليته إياهم مع مكرهم بحيث لا يعصمهم، وتزيين ذلك في أعينهم وتحبيب ذلك إليهم.[٣]

وخلاصة القول: إن القوم مكروا بصالح (عليه السلام) وبيتوا أمرًا له بخفاء متقاسمين على ذلك، وأن يكون هذا العمل بليل كي لا يعلم به صالح وأهله، وكان هذا المكر والتدبير عظيمًا، فقابل الله تعالى مكرهم بمكر وتدبير خفي عظيم مع استدراج لهم بعملهم وتحبيب ذلك إليهم، وكان مكر الله عظيمًا وشتان بين مكر الله تعالى القادر القوي المنفِّذ لما يريد ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فقد علم ما يضمرون وما يخططون، فأبطل مخططهم، وأنفذ ما أراد الله تعالى بقدرته وقوته.

---

(١) التفسير الكبير (٢٤/ ٥٦١).

(٢) تفسير البغوي (٥٠٩/٣).

(٣) لطائف الإشارات ٤١/٣.

المبحث الثالث

مكر الله تعالى لنبيه محمد (ﷺ) قبل الهجرة

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الأنفال: ٣٠].

روى ابن هشام في السيرة النبوية ما دار من حوارٍ بين المشركين في هذه الجلسة عن عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) قال: (إن نفرًا من قريش من أشراف كل قبيلة اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل، فلما رأوه قالوا له من أنت؟ قال: شيخ من أهل نجد، سمعت أنكم اجتمعتم، فأردت أن أحضركم، ولن يعدمكم رأيي ونصحي، قالوا: أجل، ادخل، فدخل معهم فقال: انظروا في شأن هذا الرجل !، والله ليوشكن أن يواثبكم في أمركم بأمره، فقال قائل منهم: احبسوه في وثاق، ثم تربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء، زهير والنابغة، إنما هو كأحدهم، قال فصرخ عدو الله، الشيخ النجدي، فقال: والله ما هذا لكم برأي، والله ليخرجنه ربُّه من محبسه إلى أصحابه، فليوشكُن أن يثبوا عليه، حتى يأخذوه من أيديكم، فيمنعوه منكم، فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم، قالوا: صدق الشيخ، فانظروا في غير هذا، قال قائل منهم: أخرجوه من بين أظهركم، فتستريحوا منه، فانه إذا خرج لن يضركم ما صنع، وأين وقع، إذا غاب عنكم أذاه، واسترحتم، وكان أمره في غيركم، فقال الشيخ النجدي: والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حلاوة قوله، وطلاقة لسانه، وأخذ القلوب ما تسمع من حديثه؟ والله لئن فعلتم ثم استعرض العرب ليجتمعُن عليه، ثم ليأتين إليكم حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم، قالوا: صدق والله، فانظروا رأياً غير هذا.

قال: فقال أبو جهل لعنه الله: والله لأشيرنَّ عليكم برأي ما أراكم أبصرتموه بعد، لا أرى غيره، قالوا: وما هو؟ قال: تأخذون من كل قبيلة غلاماً شاباً وسيطاً نهداً، ثم يُعطى كل غلام منهم سيفاً صارماً، ثم يضربونه ضربةَ رجلٍ واحدٍ، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها، فما أظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها، فإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل واسترحنا، وقطعنا عنا أذاه، قال: فقال الشيخ النجدي: هذا والله الرأي، القول ما قال الفتى، لا أرى غيره.(١)

في هذه الآية الكريمة مكر الذين كفروا وهو: التشاور فيما بينهم والتآمر بما يفعلونه بالرسول (ﷺ)، إذ لم يطلعوا أحدًا على ذلك المكر والتآمر، فبعضهم أشار بالقتل، وآخرون أشاروا بالإخراج، وغيرهم أشار بالحبس، فكأن مشاورتهم وتآمرهم رجعت إلى أحد تلك الوجوه من قتل وحبس وإخراج.

نعم حدث الإخراج لرسول الله (ﷺ)، وهو أحد الآراء التي كانوا قد مكروا بها على رسول الله (ﷺ)، لكنه كان على غير الهيئة التي أرادوها، وكذلك على غير الرأي الذي اتفقوا عليه، وكذلك أنهم أرادوا من الإخراج إطفاء هذا النور؛ ليذهب هذا الدين وتدرس آثاره.(٢)

وفي قولـــه: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٨٩/٢) وما بعدها.

(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة (١٨٨/٥-١٨٩).

كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة:٤٠]، أي: أنهم اضطروه إلى الخروج من مكة المكرمة والهجرة إلى المدينة المنورة.(١)

هذا ما كان من مكرهم، أما مكر الله تعالى الذي رد به عليهم، فهو من وجوه عدة:

أولها: أن الله تعالى أخبره (ﷺ) بما حاكوه له من مكر.

ثانيًا: أمره أن لا يبيت في مضجعه.

ثالثًا: أنام عليًا مكانه.

رابعًا: أذن له بالخروج والهجرة إلى المدينة المنورة.(٢)

خامسًا: خرج من بين القوم بعد أن أعمى الله أبصارهم عنه.

سادسًا: بسلوكه طريق الهجرة المعروف باتجاه غار ثور أولاً فحماه الله تعالى فيه حين وصلوا إليه، فعن أبي بكر (ﷺ) قال: قلت للنبي (ﷺ) وأنا في الغار لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال : ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما.(٣)

وختم الله تعالى الآية الكريمة بقوله: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال:٣٠] وقد قال العلماء في تفسيرها أقوالاً متعددةً، منها:

---

(١) ينظر: التفسير الكبير (١٦/ ٥٠).

(٢) ينظر: التفسير الكبير (١٥/٤٧٧) وزاد المسير في علم التفسير (٢/٢٠٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/٤) برقم (٣٦٥٣) كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب المهاجرين وفضلهم، منهم أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة التيمي (ﷺ).

١- أرادوا بمكرهم شرًّا، وهو أن يطفئوا هذا النور، وأراد الله تعالى أن يُسلم منهم نفر؛ ليكونوا أعوانًا ونصرًا له، ليأخذوا حظهم، بذلك هو خير الماكرين.

٢- أرادوا قتله، فأراد الله قتلهم، فقتلهم ببدر.

٣- أفضل مكرًا منهم، غلب مكره مكرهم.(١)

٤ – أصدق الماكرين فعلاً، وأفضل الصانعين صنعًا، وأعدل العادلين عدلاً.(٢)

٥- أقواهم مكرًا، وأنفذهم كيدًا، وأقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقَب.(٣)

٦- أقواهم عند إرادة مقابلة مكرهم بخذلانه إياهم، فوضع خير موضع أقوى وأشد؛ لينبه بذلك على أن كل مكر فهو يَبطل في مقابلة فعل الله تعالى.(٤)

٧- الإِمْلَاءَ وَالِاسْتِدْرَاجَ، الَّذِي يُقَدِّرُهُ لِلْفُجَّارِ وَالْجَبَابِرَةِ وَالْمُنَافِقِينَ، الشَّبِيهَ بِالْمَكْرِ فِي أَنَّهُ حسن الظَّاهِر سيِّء الْعَاقِبَة، هُوَ خَيْرٌ مَحْضٌ لَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ إِلَّا الصَّلَاحُ الْعَامُّ، وَإِنْ كَانَ يُؤْذِي شَخْصًا أَوْ أَشْخَاصًا، فَهُوَ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ مُجَرَّدٌ عَمَّا فِي الْمَكْرِ مِنَ الْقُبْحِ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ أَفْعَالُهُ تَعَالَى مُنَزَّهَةً عَنِ الْوَصْفِ بِالْقُبْحِ أَوِ الشَّنَاعَةِ، لِأَنَّهَا لَا تُقَارِنُهَا الْأَحْوَالُ الَّتِي بِهَا تُقَبَّحُ بَعْضُ أَفْعَالِ الْعِبَادِ مِنْ دَلَالَةٍ عَلَى سَفَاهَةِ رَأْيٍ، أَوْ سُوءِ طَوِيَّةٍ، أَوْ جُبْنٍ، أَوْ ضَعْفٍ، أَوْ طَمَعٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ. أَيْ فَإِنْ كَانَ فِي الْمَكْرِ قُبْحٌ فَمَكْرُ اللَّهِ خَيْرٌ مَحْضٌ، وَلَكَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ أَنْ تَجْعَلَ «خَيْرُ» بِمَعْنَى التَّفْضِيلِ وَبِدُونِهِ.(٥)

---

(١) ينظر: تأويلات أهل السنة (٥/١٨٨-١٨٩).

(٢) ينظر: تفسير السمرقندي (٢/١٨).

(٣) الكشاف (١/٣٦٦).

(٤) ينظر: التفسير الكبير (١٥/٤٧٨) والتحرير والتنوير (٣/ ٢٥٧).

(٥) التحرير والتنوير (٣/ ٢٥٧).

٨- ليس المراد في (خير) هو التفضيل، بل المراد: أنه في نفسه خير، كما يقال: الثريد خيرٌ من الله تعالى.[١]

والخلاصة من هذه الأقوال: أن مكر الكافرين للنبي (ﷺ)سلم هو ما حاكوه له (ﷺ) من مؤامرات لإخراجه وقتله وما شابه، وإطفاء نور الله تعالى، فرد الله عليهم ذلك بأن نجّى نبيه (ﷺ) من بين أظهرهم وسلّمه.

وأن الله تعالى وصف نفسه بأنه خير الماكرين تبارك وتعالى، ومكرُه (ﷻ) كله إلى خير محض تام لا شر فيه، وإن كان فيه ضررٌ على واحدٍ أو أكثر، فالمصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة.

(١) ينظر: التفسير الكبير (٤٧٨/١٥).

المبحث الرابع
مكر الله تعالى على الآمنين من مكره

﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٧-٩٩]

يقول ربنا تبارك وتعالى: (**أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ**) وهذا القول قد خرج في الظاهر مخرج الاستفهام، ولكن حقيقته على الإيجاب، كأنه تعالى قال: قد أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتًا، أو أمن أهل القرى أن يأتهم بأسنا ضحى وهم يلعبون.

واختلف في تفسير هذه الآية على قولين:

الأول: قول الحسن: هذه الآيات في الأمم السالفة، أخبر عن أمنهم بنزول بأس الله وعذابه بهم، ولكن ذكر في هذه الأمة ليكونوا على حذر عن مثل صنيعهم.

الثاني: أن هذه الآيات في قرى هذا الأمة لا في الأمم السالفة، يقول: أمن هؤلاء بأسنا كما أمن أولئك منه، فإنهم إذا صنعوا مثل صنيعهم ينزل بهم في الآخرة من العذاب مثل ما أنزل بأولئك في الدنيا من العذاب.(١)

ومكر الله تعالى هنا هو عبارة عن الإمهال لهم واستدراجهم، إذ إن الله تعالى أملى لهم وأعطاهم النعم، فغفلوا عن الله وعذابه وسهوا ولم يراقبوا الله

(١) ينظر: تأويلات أهل السنة ٤/٥١١.

تعالى ويخشوه، فكذبوا الرسل وكانوا بهذا التكذيب آمنين معتقدين أنهم على حق في شركهم بالله تعالى غير آبهين بنتائجه.

واختار الله تعالى وقتين لنزول العذاب:

الأول: بياتًا وهم نائمون.

الثاني: ضحى وهم يلعبون.

وهذان الوقتان: وقت النوم واللعب ينزل فيهما العذاب لأنه وقت الغفلة والسهو، وآمن ما يكون الإنسان وهو في حال النوم، أو حال اللعب.(١)

قال ابن عاشور " وَقَالَ الْخَفَاجِيُّ: الْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ كَبِيرَةٌ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ، وَهُوَ الِاسْتِرْسَالُ عَلَى الْمَعَاصِي اتِّكَالًا عَلَى عَفْوِ اللَّهِ.

وَتَقْيِيدُ التَّعْجِيبِ مِنْ أَمْنِهِمْ مَجِيءَ الْبَأْسِ، بِوَقْتَيِ الْبَيَاتِ وَالضُّحَى، مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأَوْقَاتِ، وَبِحَالَيِ النَّوْمِ وَاللَّعِبِ، مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأَحْوَالِ، لِأَنَّ الْوَقْتَيْنِ أَجْدَرُ بِأَنْ يُحْذَرَ حُلُولُ الْعَذَابِ فِيهِمَا، لِأَنَّهُمَا وَقْتَانِ لِلدَّعَةِ، فَالْبَيَاتُ لِلنَّوْمِ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الشُّغْلِ. وَالضُّحَى لِلَّعِبِ قَبْلَ اسْتِقْبَالِ الشُّغْلِ، فَكَانَ شَأْنُ أُولِي النُّهَى الْمُعْرِضِينَ عَنْ دَعْوَةِ رُسُلِ اللَّهِ أَنْ لَا يَأْمَنُوا عَذَابَهُ، بِخَاصَّةٍ فِي هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ وَالْحَالَيْنِ.

وَفِي هَذَا التَّعْجِيبِ تَعْرِيضٌ بِالْمُشْرِكِينَ المكذبين للنبي (ﷺ) أَنْ يَحُلَّ بِهِمْ مَا حَلَّ بِالْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، فَكَانَ ذِكْرُ وَقْتِ الْبَيَاتِ، وَوَقْتِ اللَّعِبِ، أَشَدَّ مُنَاسَبَةً بِالْمَعْنَى التَّعْرِيضِيِّ، تَهْدِيدًا لَهُمْ بِأَنْ يُصِيبَهُمُ الْعَذَابُ بِأَفْظَعِ أَحْوَالِهِ، إِذْ يَكُونُ حُلُولُهُ بِهِمْ فِي سَاعَةِ دَعَتِهِمْ وَسَاعَةِ لَهْوِهِمْ نِكَايَةً بِهِمْ.

وَقَوْلُهُ: (**أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ** تكْرِيرٌ) لِقَوْلِهِ: (**أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ**) قُصِدَ مِنْهُ تَقْرِيرُ التَّعْجِيبِ مِنْ غَفْلَتِهِمْ، وَتَقْرِيرُ مَعْنَى التَّعْرِيضِ بِالسَّامِعِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ،

---

(١) التحرير والتنوير ٢٥/٩.

مَعَ زيادة التذكير بِأَنَّ مَا حَلَّ بِأُولَئِكَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ يُمَاثِلُ هَيْئَةَ مَكْرِ الْمَاكِرِ بِالْمَمْكُورِ فَلَا يَحْسَبُوا الْإِمْهَالَ إِعْرَاضًا عَنْهُمْ، وَلْيَحْذَرُوا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَفِعْلِ الْمَاكِرِ بِعَدُوِّهِ. "(١)

يقول سيد قطب (رحمه الله): أفأمن أهل القرى- وتلك سنة الله في الابتلاء بالضراء والسراء، والبأساء والنعماء، وتلك مصارع المكذبين السادرين، الذين كانوا قبلهم يعمرون هذه القرى ثم تركوها فخلفوهم فيها- أفأمنوا أن يأتيهم بأس الله في غفلة من غفلاتهم، وغرةٍ من غراتهم؟ أفأمنوا أن يأتيهم بأس الله بالهلاك والدمار.. بياتاً وهم نائمون..

والإنسان في نومه مسلوب الإرادة، مسلوب القوة، لا يملك أن يحتاط ولا يملك أن يدفع عادية من حشرة صغيرة.. فكيف ببأس الله الجبار؟ الذي لا يقف له الإنسان في أشد ساعات صحوه واحتياطه وقوته؟

أفأمنوا أن يأتيهم بأس الله.. ضحى وهم يلعبون.. واللعب يستغرق اليقظة والتحفز، ويلهي عن الأهبة والاحتياط، فلا يملك الإنسان، وهو غارٌّ في لعبه، أن يدفع عن نفسه مغيراً، فكيف بغارة الله التي لا يقف لها الإنسان وهو في أشد ساعات جده وتأهبه للدفاع؟

وإن بأس الله لأشد من أن يقفوا له نائمين أم صاحين، لاعبين أم جادين، ولكن السياق القرآني يعرض لحظات الضعف الإنساني، ليلمس الوجدان البشري بقوة، ويثير حذره وانتباهه، حين يترقب الغارة الطامة الغامرة، في لحظة من لحظات الضعف والغرة والفجاءة، وما هو بناج في يقظة أو غِرة،

(١) التحرير والتنوير ٩/٢٣-٢٤.

فهذه كتلك أمام بأس الله سواء﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾، وتدبيره الخفي المغيب على البشر.. ليتقوه ويحذروه(.. ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾)

فما وراء الأمن والغفلة والاستهتار إلا الخسار، وما يغفل عن مكر الله هكذا إلا الذين يستحقون هذا الخسار ! أفأمنوا مكر الله وهم يرثون الأرض من بعد أهلها الذاهبين، الذين هلكوا بذنوبهم، وجنت عليهم غفلتهم؟ أما كانت مصارع الغابرين تهديهم وتنير لهم طريقهم؟[1]

(١) في ظلال القرآن ٣/١٣٤٠.

الخاتمة

وبعد هذا التطواف بين بساتين آيات الله تعالى المتحدثة عن مكر الله تعالى بحمد الله وفضله، نخلص إلى النتائج الآتية:

١- **المكر لغة:** هو عبارة عن التفاف يكون فيه احتيال في خُفية، وفيه ضرر للممكور به.

٢- **المكر اصطلاحًا:** إرادة الماكر فعل السوء بالممكور به في غفلة منه عما يراد به، في عدم حذَره من شرٍّ يأتيه من جهة الماكر.

٣- **المكر في أقوال المفسرين:** هو التدبير الخفي والالتفاف لإيصال المكروه إلى الممكور به من حيث لا يحتسب، ووقاية الممكور له من المكروه كذلك، إذ الغالب في عادات البشر أن يكون المكر فيما يسوء ويذم من الكذب والحيل.

٤- **مكر الله تعالى عند المفسرين على معنيين:**

أ- **على الحقيقة:** وهو من النوع المحمود، ويكون إما بإبطال مكر الماكر المقابل، أو تدبير أمر له بخفاء؛ لإيقاعه فيما يكره.

ب- **على غير الحقيقة (المجاز):** وهو من باب المشاكلة، لجعل الجزاء من جنس العمل، كقول العرب: ظلمني فظلمته، فالأول ظلم، والثاني ليس بظلم.

٥- لا يجوز إطلاق اسم الماكر أو المكّار أو ما شبابه من الألفاظ التي تحتمل الشر والخير، والكمال والنقص على الله تعالى إلا أن تكون مقترنة بما قرنها الله تعالى به، كخير الماكرين وخير الناصرين، فنسمي الله تعالى بها كما ذكرها الله (ﷻ).

٦- **مكر الكافرون لنبينا محمد (ﷺ):** وهو في مكة بأن حاكوا عليه المؤامرات لقتله أو إخراجه أو تثبيته، لكن الله تعالى مكر لنبيه (ﷺ) بأن سلّمه من بين أيديهم ونشر نور دينه الذي أرادوا إطفاءه.

٧- **مكر اليهود بعيسى (عليه السلام):** بمحاولة قتله أو إغراء الحكام آنذاك بقتله، لكن الله تعالى مكر له فألقى الشبه على واحد منهم، وسلّم نبيه، ورفعه إليه.

٨- **المكر مكران:** محمود، ومذموم، ومكر الله تعالى خير لا شر فيه، وإن كان فيه ضرر على واحد أو أكثر فالمصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة.

٩- **إن الله تعالى حفظ أنبياءه من مكر الماكرين بأن جعل مكر الماكرين لا مكر**؛ لأن المكر لله جميعًا، فما خفي على غيره لا يخفى عليه، فهو يعلم السر وأخفى، فأصبح مكرهم مكشوفاً.

١٠- **مكر قوم صالح بنبيهم،** وتآمروا عليه وعلى أهله لقتله ليلاً وهم نائمون فلا يراهم أحدٌ، فمكر الله تعالى لنبيه بأن أبطل مخططهم وكشفه، وحرس نبيه وأهلكهم عقوبة لهم.

١١- على الإنسان أن لا يأمن مكر الله تعالى ويركن إلى الحياة الدنيا، فإنه لا يعلم متى يُنزل الله تعالى عذابه سواء وهم نائمون أو هم يلعبون، فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

التوصيات

١- على المسلم أن لا يأمن مكر الله تعالى بركونه إلى الدنيا، فهي زائلة، والحياة الحقيقية هي الدار الآخرة.

٢- الإكثار من ذكر الله تعالى في كل أوقاتنا لأنها توقظنا من غفلتنا.

٣- دراسة مثل هذه الموضوعات التي قد تُشكل على العامة وبيان أهميتها ومعناها الصحيح.

المصادر والمراجع

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢. أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة، د. محمود عبد الرزاق الرضواني، مكتبة سلسبيل، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٣. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت١٤٠٣هـ)، ط٤، دار الإرشاد، حمص، ودار اليمامة، بيروت، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٥هـ.

٤. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، دار الفكر، بيروت.

٥. تأويلات أهل السنة، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي (ت٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٦. التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٧. تفسير البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٨. تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي (ت٣٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ علي محمد معوّض وغيره، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٩. تفسير الشعراوي – خواطر، محمد متولي الشعراوي (ت١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، (الموسوعة الشاملة)
١٠. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني (ت١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
١١. تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد المروزي السمعاني (ت٤٨٩هـ)، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
١٢. التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو عبد الرؤوف بن تاج العارفي الحدادي المناوي (ت١٠٣١هـ)، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
١٣. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
١٤. الجامع الصحيح المختصر، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط٣، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
١٥. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهر، ط٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
١٦. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

١٧. زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ.
١٨. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي (د.ت).
١٩. السيرة النبوية، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوم الحميري المعافري (ت٢١٣هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ.
٢٠. شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت١٤٢١هـ)، تحقيق: سعد فواز الصميل، ط ٥، دار ابن الجوزي، الرياض، ١٤١٩هـ.
٢١. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٢٢. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بغداد.
٢٣. في ظلال القرآن، سيد قطب الشاربي (١٣٨٥هـ)، ط١٧، دار الشروق، بيروت-القاهرة، ١٤١٢هـ.
٢٤. كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت٧١٦هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٢٥. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى (٥٣٨ هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ.
٢٦. الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، عبد العزيز بن محمد السلمان، ط ١١ رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
٢٧. لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري (ت٧١١هـ)، ط ٣، دار صادر، بيروت.
٢٨. لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
٢٩. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، د. فاضل بن صالح البدري السامرائي، دار عمار، الأردن، ط٣، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
٣٠. المحرر الوجيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي (ت٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.
٣١. معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٣٢. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٣٣. معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٢هـ.
٣٤. مفاتيح الغيب و التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٣٥. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت٣٩٥هـ)، تحقيقك عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت.
٣٦. النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت٤٥٠هـ)، تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٧. النور الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، أمين بن الحسن الأنصاري، (الموسوعة الشاملة).

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة
ملخص البحث	٣
Abstract	٥
المقدمة	٧
المبحث الأول: تعريف المكر وكان على عدة مطالب	١٣
المطلب الأول: المكر في اللغة	١٣
المطلب الثاني: المكر في الاصطلاح	١٦
المطلب الثالث: المكر في القرآن الكريم وعند المفسرين	١٨
المطلب الرابع: كيف يكون وصف الله تعالى بصفة (المكر)؟	٢٤
المبحث الثاني: مكر الله تعالى للأنبياء السابقين	٣١
المطلب الأول: مكر الله تعالى لعيسى (عليه السلام)	٣٤
المطلب الثاني: مكر الله تعالى لنبيه صالح (عليه السلام)	٣٦
المبحث الثالث: مكر الله تعالى لنبيه محمد (ﷺ) قبل الهجرة	٤٠
المبحث الرابع: مكر الله تعالى على الآمنين من مكره	٤٥
الخاتمة	٤٩
التوصيات	٥٠
المصادر و المراجع	٥١
الفهرس	٥٦

بحمد الله تعالى